

## (الحلقة الاولى)

# الوحدة الإسلامية أهميتها. أهدافها. منهجها

إنما المؤمنون إخوة:

قال تعالى:  
(وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) (الحجرات/ 8-10).

يقول تعالى آمراً بالإصلاح بين الفئتين الباغيتين بعضهم على بعض: (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما) فسامهم مؤمنين وإخوة مع الاقتتال.. كما أمر تعالى بقتال الفئة الباغية حتى ترجع إلى أمر الله ورسوله، فإن رجعت فاحكموا بينهما بالعدل، ولا تحابوا طائفة على أخرى، واعلموا أن الله يحب الذين يحكمون بالعدل.

وقال تعالى:

(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا  
الله ورسوله إن كنتم مؤمنين)  
(الأنفال/1).

وكل مسلم يتدبر هذه الآيات يعلم إن  
إصلاح ذات البين واجب عليه، فلا ينبغي له  
اليوم أن يتقاعس عن أداء هذا الواجب وهو  
يرى بعينه هذه الصومات بين الدعاة  
والجماعات الإسلامية.

كما أنه لا ينبغي له أن يقبل وجهة نظر  
طرف دون أن يسمع وجهة نظر الطرف  
الآخر، وإن زعم أنه يثق بصدق الجهة التي  
سمع رأيها، وعليه أن لا يتجاهل أن الدعاة  
الآخرين وإخوانه، وربما كان الحق معهم..  
وأمامه إن أراد العدل منهج علماء الجرح  
والتعديل وموقفهم من أقوال العلماء  
المتخاصمين.

ومن إصلاح ذات البين مواجهة كل مغتاب  
أثيم بما يصلحه، ويحول بينه وبين نشر  
افتراءاته بين الناس... ولو وجد المغتابون  
النامون من يتصدى لهم، ويشترط عليهم  
مواجهتهم بالذين يأكلون لحومهم لحُسمت  
كثير من المشكلات المستعصية على الحل.  
والإخوة بين المؤمنين تستوجب الموالاة.  
قال تعالى:

(المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض  
يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر،  
ويقومون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون  
الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله إن الله  
عزيز حكيم) (التوبة/71).

أي يتناصرون ويتعاضدون، ويتواصون  
بالحق ويتواصون بالصبر، ولا يستطيع أعداء  
الله إختراق صفوفهم لأنها كالبنيان  
المرصوص.

قال تعالى:  
(إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله  
صفاً كأنهم بنيان مرصوص) (الصف/4).

## ولكن الله ألف بينهم:

قال تعالى:  
(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين. وألف  
بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض  
جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف  
بينهم إنه عزيز حكيم) (الأنفال/ 62-63).  
- (هو الذي أيدك بنصره، وبالمؤمنين وألف  
بين قلوبهم): أي جمعها على الإيمان بك،  
وعلى طاعتك ومناصرتك ومؤازرتك.  
- (ولو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما  
ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم):  
قل ابن جرير:

(لو أنفقت يا محمد ما في الأرض جميعاً  
من ذهب وورق وعرض، ما جمعت أنت بين  
قلوبهم بحيلك، ولكن الله جمعها على  
الهدى، فائتلفت واجتمعت تقوية من الله  
لك وتأيداً منه، ومعونة على عدوك... والذي  
فعل ذلك، وسببه لك، حتى صاروا لك  
أعواناً وأنصاراً ويداً واحدة على من بغاك  
سوءاً هو الذين إن رام عدو منك مراماً  
يكفيك كيده، وينصرك عليه، فثق به وامض  
لأمره، وتوكل عليه).

وعن ابن عباس قال:  
(إن الرحم لتقطع، وإن النعمة لتكفر، وإن  
الله إذا قارب بين القلوب لم يرحزها ثم  
قرأ: (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما

ألفت بين قلوبهم) وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم: (يا معشر الانصار ألم أجدكم ضالكا فهداكم الله بي، وعالة فاغناكم الله بي، ونتم متفرقين فألفكم الله بي).  
- (ولكن الله ألف بينهم): وهذه نعمة انفرد بها المسلمون عن غيرهم من الأمم والشعوب، والفضل في ذلك والمنة لله وحده. قال تعالى:  
(يمنون عليك إن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين) (الحجرات/17).

فالمسلم أن كان صادقا: يغضب لغضب أخيه المسلم، ويفرح لفرحه، ويحب له ما يحبه لنفسه، ويتسع قلبه للمسلمين كلهم رغم تباعد ديارهم واختلاف ألوانهم. والمسلم إن كان صادقا يحب أخاه المسلم في الله ولله، ولا يحبه من أجل الدنيا وحطامها.

وإن كان غير صادق فهو يبغض إخوانه المسلمين لانهم ليسوا من أتباع فرقته أو مذهبه، أو لأن لونهم يختلف عن لونه، وأمزجتهم وعاداتهم تختلف عن مزاجه وعاداته.

## ولا تنازعوا فتفشلوا:

قال تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا،  
واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون، وأطيعوا  
الله ورسوله، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب  
ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين)  
(الأنفال / 45-46).

- (فاثبتوا): لا تولوهم الأدبار هاربين.

- (واذكروا الله كثيرا): ادعوا الله بالنصر

عليهم، والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم  
وأسنتكم ذكره.

- (ولا تنازعوا فتفشلوا): ولا تختلفوا

فتفرقوا، وتختلف قلوبكم.

- (فتفشلوا): أي تضعفوا وتجنبوا.

- (وتذهب ريحكم): أي قوتكم ونصركم، كما

تقول: الريح لفلان، إذا كان غالبا في الأمر.  
قال الشاعر:

إذا هبت رياحك فاغتنمها

فإن لكل خافقة

سكون

فهذه هي عوامل النصر الحقيقية:

الثبات عند لقاء العدو، والاتصال بالله

بالذكر، والطاعة لله والرسول، وتجنب

النزاع والشقاق، والصبر على تكاليف

المعركة، والحذر من البطر والرئاء والبغي (1).

والأمر بطاعة الله ورسوله ورد في آيات

كثيرة، منها قوله تعالى:

(يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا

الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم

في شيء فردوه إلى الله والرسول إن

كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير

وأحسن تأويلاً) (النساء/59).

**وقوله:**  
**(فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) (الأنفال/1).**

**وقوله:**  
**(إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون، ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقّه فأولئك هم الفائزون) (النور/52).**

**وقوله:**  
**(أشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات، فإذا لم تفعّلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله، والله خبير بما تعملون) (المجادلة/13).**

**ففي الآية الأولى ارتبطت طاعة الله ورسوله بطاعة أولي الأمر ما لم يأمر بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.**

**وفي الآية الثانية ارتبطت طاعة الله ورسوله بوجوب إصلاح ذات البين.**  
**وفي الآية الثالثة ارتبطت بوجوب الإذعان التام والانقياد المطلق لحكم الله ورسوله.**  
**وفي الرابعة ارتبطت مع وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.**

**وهذه الطاعة تعني التزام ما كان عليه الرسول وأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وهي الأساس الذي ينبغي أن يلتقي عليه الأفراد والجماعات الإسلامية.**

**ولا يقع النزاع والشقاق إلا عندما تتعدد وتختلف الجهات التي نطيعها... وهذه سنة ثابتة من سنن الله في خلقه.**

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله:  
(وأما طاعة الله ورسوله، فلكي يدخل  
المؤمنون المعركة مستسلمين لله ابتداءً،  
فتبطل أسباب النزاع التي أعقبت الأمر  
بالطاعة: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب  
ريحكم).. فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد  
جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون  
الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء  
والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله  
انتفى السبب الأول الرئيسي للنزاع بينهم  
- مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة  
المعروضة - فليس الذي يثير النزاع هو  
اختلاف وجهات النظر، إنما هو الهوى الذي  
يجعل كل صاحب وجهة نظر يصر عليها  
مهما تبين له وجه الحق فيها! وإنما هو  
وضع (الذات) في كفة، والحق في كفة،  
وترجيح الذات على الحق ابتداءً..  
ومن ثم هذا التعليم بطاعة الله ورسوله  
عند المعركة.. إنه من عمليات (الضبط) التي  
لا بد منها في المعركة... إنها طاعة القيادة  
العليا فيها، التي تنبثق منها طاعة الأمير  
الذي يقودها، وهي طاعة قلبية عميقة لا  
مجرد الطاعة التنظيمية في الجيوش التي  
لا تجاهد لله، ولا يقوم ولاؤها للقيادة على  
ولائها لله أصلاً... والمسافة كبيرة كبيرة) (2).

## ولا تفرقوا:

قال تعالى:  
(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا  
بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، واذكروا نعمة

الله عليكم، اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون. ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون

(آل عمران/ 102-104).

- (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته): عن ابن مسعود أنه قال: تقوى الله أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يُشكر فلا يُكفر. رواه ابن كثير في سنده عن ابن مسعود، وقال: هذا إسناد صحيح موقوف.

وعن ابن عباس انه قال: هي أن يجاهدوا في الله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وأبائهم وأمهاتهم.

- (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون): أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه فعيادا بالله من خلال ذلك.

- (واعتصموا بحبل الله جميعاً). قال ابن

جرير في تفسير هذه الآية:

(تعلقوا بأسباب الله جميعاً، يريد بذلك تعالى ذكره: وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عهد اليكم في كتابه اليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله.. وأما الحبل، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة، ولذلك سمي الامان حبلًا لأنه سبب يوصل



به إلى زوال الخوف، والنجاة من الجزع  
والذعر) (3).

- (ولا تفرقوا): قال ابن كثير:  
(أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة،  
وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن  
التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف كما في  
صحيح مسلم من حديث سهيل بن أبي  
صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله  
يرضى لكم ثلاثاً، ويسخط لم ثلاثاً: يرضى  
لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن  
تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن  
تناصحوا من ولاة الله أمركم، ويسخط لكم  
ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة  
المال). و قد ضمن الله لهم العصمة من  
الخطأ عند اتفاقهم، كما وردت بذلك  
الأحاديث المتعددة أيضاً.

وخيف عليهم الافتراق والاختلاف، فقد  
وقع ذلك في هذه الأمة، فافترقوا على  
ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى  
الجنة، ومسلمة من عذاب النار، وهم الذين  
على ما كان عليه النبي صلى الله عليه  
وسلم وأصحابه) (4).

واذكروا أيها المؤمنون ما أنعم الله به  
عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام..  
وقد كنتم قبل هذه النعمة التي من بها  
عليكم كفاراً متخاصمين متناحرين، يقتل  
بعضكم بعضاً لأتفه الأسباب وأحطها،  
فالحرب بين الأوس والخزرج استمرت  
عشرين ومائة سنة، وهم إخوان لأب وأم،  
وكانت بدايتها بسبب قتل مولى لمالك بن  
العجلان الخزرجي.. ثم إن الله عز وجل

أطفاً هذه الاحقاد والإحن بالإسلام، وألف  
بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم.  
- (وكنتم على شفا حفرة من النار  
فأنقذكم منها): وكنتم على طرف جهنم  
بكفركم الذي كنتم عليه، وليس بينكم وبين  
الوقوع فيها إلا أن تموتوا على ذلك من  
كفركم، فتكونوا من الخالدين فيها،  
فأنقذكم الله منها بالإيمان الذي هداكم  
إليه.

- (ولتكن): أمر من الله سبحانه وتعالى،  
وظاهر الامر يفيد الإيجاب.  
- (منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون  
بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم  
المفلحون): من أقوال المفسرين في تأويل  
هذه الآية: ولتكن منكم أئمة المسلمون  
جماعة - وسميت بذلك لأنها يؤمها الناس:  
أي يقصدونها ويقتدون بها - تدعو إلى ما  
فيه صلاح الدين والدنيا، وتأمركم بكل معروف  
سواء كان واجباً أو مندوباً، وتنهي عن كل  
مكروه يقرب من النار ويبعد عن الجنة..  
وهؤلاء هم الفائزون في الحياة الدنيا وفي  
الآخرة.

ومن للتبويض، وتقدير الكلام: ولتكن منكم  
جماعة مؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم،  
ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية  
الشخص، والمراد بكون المؤمنين مخاطبين  
بتكوين هذه الأمة لهذا العمل هو أن يكون  
لكل فرد منهم إرادة وعمل في إيجادها  
وإسعادها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة  
حتى إذا رأوا منها خطأ أو انحرافاً أرجعوها  
إلى الصواب.

ويدخل في عمل هذه الأمة: الأمور العامة  
التي هي من شأن الحكام، وأمور العلم

وطرق إفادته ونشره وتقرير الأحكام وأمور العامة الشخصية، ويشترط فيها العلم بذلك ولذلك جعلت أمة، وفي معنى الأمة القوة والاتحاد وهذه الأمور لا تتم إلا بالقوة والاتحاد، فالأمة المتحدة لا تقهر ولا تغلب ولا تعتذر بالضعف يوماً ما، فتترك ما عهد إليها، وهو ما لو ترك لتسرب الفساد إلى مجموع المسلمين.

وقد كان المسلمون في الصدر الأول لا سيما على عهد الخليفين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما على هذه الطريقة، فقد كانت خاصة الصحابة الذين عاشروا النبي صلى الله عليه وسلم وتلقوا عنه متواصين متكاتفين، يشعر كل منهم بما يشعر به الآخر من الحاجة إلى نشر الإسلام وحفظه ومقاومة كل ما يمس شيئاً من عقائده وأدابه وأحكامه ومصالح أهله، وكان سائر المسلمين تبعاً لهم.

فوجود هذه الجماعة واجب، وإن كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجباً على أفراد الأمة الإسلامية قدر الاستطاعة كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان) (5).

وقفت ذات مرة وأنا أتلو هذه الآيات الجامعة الشاملة التي كنت قد حفظتها منذ أمد بعيد عند قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

وسألت نفسي: لماذا كان المدخل لهذه الآيات الأمر بتقوى الله حق التقوى؟! ولماذا

تكرر ذكر التقوى، والأمر بطاعة الله  
ورسوله في آيات أخرى كثيرة؟!  
وكان لا بد من البحث عن جواب لهذا  
السؤال في كتب التفسير المعتمدة، وعندما  
رجعت إليها لم أجد جواباً شافياً لهذا  
السؤال الذي يفرض نفسه عليّ بالحاح،  
وكل الذي وجدته تفسير قوله تعالى: (يا  
أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وقد  
نقلت أهم أقوالهم فيما مضى.  
وعدت أستعرض أحداث التاريخ، وأتبين من  
خلالها أحوال الذين فرقوا دينهم، وبدلوا  
نعمة الله عليهم، وأحلوا أقوامهم دار  
البوار، وانتهيت من هذا الاستعراض إلى  
النتائج التالية:

- اختلف اليهود والنصارى من بعد ما  
جاءتهم البينات من ربهم، ولم يكن الجهل  
سبباً لهذا الخلاف، وإنما كان سببه فراغ  
قلوبهم من تقوى الله.
- أوباش الأمصار الذين حاصروا منزل  
الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله  
عنه، وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم كانوا  
يفتقدون التقوى والخوف من الله سبحانه  
وتعالى، ولم يكن بينهم أحد من السابقين  
الأولين.. وكذلك كان حال الذين قتلوا ابن  
بنت رسول الله - الحسين بن علي - صلى  
الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.
- الذين قسموا العالم الإسلامي، وهو في  
أوج قوته وعزته إلى ممالك ودويلات صغيرة  
ذليلة، ولم يجدوا بأساً من الاستعانة بأعداء  
الإسلام من النصارى والوثنيين ضد إخوانهم  
وأبناء دينهم... هؤلاء كانوا عبيداً لشهواتهم  
وأطماعهم، ومن أجلها يستيحيون كل  
شيء. قال أحد الشعراء يصف نغراً منهم:

مما يزهدني في أرض أندلس  
ألقاب معتضد فيها ومعتد  
ألقاب مملكة في غير موضعها  
كالهر يحكي انتفاخاً صولة  
الأسد

ولا يزال واقعنا المعاصر يزخر بأمثال  
هؤلاء الذين يكرهون التقوى والأتقياء،  
ويمقتون الورع والعمل الصالح.  
وإذن: فالعاملون من أجل وحدة الدعوة  
والجماعات الإسلامية اليوم إذا كانوا يريدون  
الله والدار الآخرة، فعليهم أن يبدأوا لعلاج  
النفوس والقلوب إمثالاً لقوله تعالى: (يا  
أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته  
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون).

فإذا تغيرت النفوس، وإمتلأت القلوب  
بالتقوى تغير كل شيء في حياتنا، وإذا  
غفل الداعون للإصلاح عن أهمية اصلاح  
النفوس فسوف يسمعون كلاماً جيداً من  
مختلف الجهات المتنازعة، أما الاعمال  
والنتائج في اتجاه معاكس... وإن من تقوى  
الله سبحانه وتعالى:

- أن نطهر قلوبنا من الغل والحقد،  
ونفوسنا من الرياء والنفاق، وألسنتنا من  
الفحش وكل قول بذيء.  
- أن يعتقد العاملون إلى الله انهم اخوة،  
وأن جماعاتهم وسائل وليست غايات.  
وليس من تقوى الله:

\* إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، وترويج  
الأكاذيب والافتراءات.

\* أن يكون بأسنا بيننا، وان نتصارع على  
حطام الدنيا، ويكون ذلك كله على حساب  
معركتنا مع أعداء الله.

هوامش:

1 - في ظلال القرآن، ص 1528، دار

الشروق.

2 - في ظلال القرآن، ص: 1528

3 - تفسير ابن جرير الطبري.

4 - تفسير ابن كثير: 1/360، دار الفكر.

5 - انظر تفسير المنار: 4/36، ومحاسن

التأويل للقاسمي: 4/920، وابن كثير:

1/391.

بقلم: فضيلة الشيخ: محمد بن زين العابدين

بن سرور - مجلة السنة العدد (4)